مجلة جامعة الملك سعود، م العلوم التربوية والدراسات الإسلامية ( )، ص ص – (هـ/ م)

موقف المترفين من دعوة الرسل

حسين جابر بني خالد

المشارك، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم أصول الدين،

جامعة اليرموك، إربد، الأردن

(قدم للنشر في / / هـ ؛ وقبل للنشر في / / هـ)

ملخص البحث. يهدف هذا البحث إلى بيان مفهوم المترفين في اللغة واصطلاح العلماء، ومعرفة آثار هذه الفئة على أفراد المجتمع، وإلقاء الضوء على أساليب المترفين في وقوفهم ومعاندتهم لدعوة الأنبياء الذين بعثوا فيهم، ثم معرفة الأسباب التي جعلتهم يقفون هذا الموقف السلبي، ومعرفة النتيجة التي ينتهي إليها مصيرهم في الدنيا والآخرة.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن البشرية تسعى جاهدة لتعيش حياة آمنة مطمئنة، وتأبى طائفة منهم إلاّ أن تعيش لنفسها فقط، فهي تغرق نفسها في الشهوات والملذات، فتحوّل حياة الذين يعيشون معهم إلى ظلم وقتل وسلب ونهب، فتنشأ في مثل هذه المجتمعات الخصال القبيحة، وينتشر فيها الفساد، فتكون النهاية المؤلمة للجميع هي التدمير.

والمتتبع لآيات القرآن الكريم يجد أن هذه الطائفة هم معظم المترفين، وهم الذين يقفون من دعوة الرسل عليهم السلام موقف الرفض

والعداوة، وأن هذا الموقف يتكرر من أمثالهم في المجتمعات في كل زمان ومكان، فهم من أكبر المعاندين للرسل، والمحرضين لعامة الناس للوقوف في وجه الرسل ودعوتهم، وإلحاق الأذى بهم وبأتباعهم من تعذيب وقتل وتشريد، على الرغم من أن الرسل وأتباعهم يحملون لهؤلاء كل خير وسعادة في الدنيا والآخرة.

لذلك جاءت هذه الدراسة لبحث موقف المترفين من دعوة الرسل مكونة من تمهيد وخمسة مباحث.

وأما التمهيد فقد بينتُ فيه مفهوم المترف لغة، وذكرت الشواهد على هذا المفهوم من القرآن، وبيّنتُ أنّ معنى المترف يدور حول سعة العيش والبذخ فيه، مع وجود الرياسة والسلطة، وبيّنتُ كذلك تطابق المفهوم اللغوي مع اصطلاح العلماء للمترفين، وما يترتب على هذا المفهوم من غلظة القلب، وإفساد الفطرة، وإصرار على الباطل.

أما المبحث الأول، فقد بيّنتُ فيه أثر المترفين على مجتمعاتهم التي يعيشون فيها، من سيطرةٍ وظلمٍ وتدمير لهذه المجتمعات، للقضاء عليها في نهاية المطاف قضاءً تاماً، وذلك لما يتمتع به المترفون من سلطة على أقوامهم، وانقيادٍ لهم، لذلك سلّط الله تعالى العذاب الشديد عليهم، وهو عذاب عام شامل.

وأما المبحث الثاني، فقد بيّنتُ فيه موقفهم من دعوة الرسل، وهو متمثل بالرفض التام لكل ما جاءوا به، وعدم الاستجابة لدعوتهم مهما رافقها من أدلة صادقة على صحة دعوتهم، وأوردت بعض الآيات التي تحدثت عن موقفهم هذا، وأنهم ـ أي المترفون- يقلدون بعضهم بعضاً في كل زمان، وذلك برفضهم لدعوة الرسل عليهم السلام.

وأما المبحث الثالث، فقد بيّنتُ فيه الدواعي التي جعلت المترفين يقفون هذا الموقف العدائي لدعوة الرسل، وهي إغراقهم في الملذات، مما جعل ذلك حائلاً بينهم وبين الاستجابة لنداء الخير، وامتثالهم لأمر الله تعالى في سلوكهم وتصرفاتهم، والذي سيؤدي إلى تحجيم ترفهم وبذخهم، وضياع سلطانهم وسيطرتهم على مجتمعاتهم، وفقدانهم لهذه المكانة الرفيعة التي يتمتعون فيها بين شعوبهم.

وأما المبحث الرابع، فقد بيّنتُ فيه الأساليب التي اتخذها المترفون في مقاومة دعوة الرسل، وهي اتهامهم بالكذب، والسحر، والسّفه، والجنون، وأنّ ما يأتون به من آيات بيّنات هو شعر، وتهديدهم للأنبياء بالقتل أو الضرب أو الطرد، في حالة إصرارهم على دعوتهم، وقولهم بأنّ القرآن الكريم أساطير وخرافات، وخداعهم لعامة الناس بما عندهم من نعيم بأنهم مقربون إلى الله تعالى، وطلبهم من الرسل ما يقصد به التعجيز والاستهتار.

وأما المبحث الخامس، فقد بيّنتُ فيه مآل المترفين في الحياة الدنيا، من قتل على أيدي المؤمنين، واستئصالهم لهم كما حصل لقوم هود، وقوم لوط وغيرهم من الأمم المستكبرة، أو خسف بهم وبممتلكاتهم كما حصل لقارون، وأما يوم القيامة فينتظرهم عذاب أليم في نار جهنم وبئس المصير.

نتائج البحث، وقد ذكرت فيه النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث.

وفي الختام أسأل الله تعالى أن أكون قد وُفّقت في عرض هذا الموضوع على حسب ما يسّره الله تعالى لي من معلومات، وأن ينفع به المسلمين، وأن يغفر لي ما أخطأت فيه وما قدّمت وأخّرت، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

التمهيد

قبل أن نبحث موقف المترفين من دعوة الرسل لا بد لنا أن نتعرف على مفهوم المترف في اللغة وكذلك مفهوم المترف عند علماء المسلمين.

مفهوم المترف: ورد في قاموس اللغة أن الترفة بالضم: النعمة وسعة العيش، وأترفته النعمة وسعة العيش أي أطغته، وقيل أترفته نعمه، ومنه قوله تعالى: ﴿ ⑤⑥⌖⋎ 💻 ⑤☺☼❸❄♊❍✠➭❄♦↑⑤♗ ﴾ [هود:١١٦]، أي ما نعّموا. وترفته تتريفاً أي أطرته. وأترف فلان: أصر على البغي، وإنما سمي المتنعّم المتوسّع في ملاذّ الدنيا وشهواتها مترفاً لأنه مطلق له لا يمنع من تنعّمه، والمترف الجبّار وبه فسّر قوله تعالى: ﴿ ⑤☺✞⋎⌖❄❍⇔←❄⌖⑥ ⋎♦❄❷♊❍⌖➭❄✡”↗⌖⑥ ﴾ [الإسراء:١٦]، أي جباريها، وقيل أولي الترفة، أراد رؤساءها وقادة الشر منها. وتترف أي تنعّم واستغرق وطغى، نقله الزمخشري والصاغاني [١، جـ٦ ، ص ص٤٩،٥٠]. وقيل التتريف حسن الغذاء، وصبيّ مترف إذا كان منعّم البدن مدللاً) [٢، جـ١٠ ص٣٦٠].

ومن الملاحظ أن المعنى اللغوي للمترف يدور حول سعة العيش والبذخ فيه، مع وجود الرياسة والسلطة، لتمكينه من إطلاق نفسه في الشهوات، وطلب المزيد من ملاذ الدنيا، والتفنّن في تحصيلها حتى تطغيه عن أمر الله والوقوف عند حدوده، كما قال تعالى: ﴿ ✍✞④⇨☺💻 ⑤✠☀❍⌖✈ ⑤⇗⇧✠☀❍②←⅄⌖❄⁋⋂⌖ ⌦✞❄”⌖◷◘⇘←⌖⇘❖◆ ☎⌛◑ ⑤✞☺❍ ⊙✞⚐⇩③⑤↓♦ ⑤⇗✦❄◘❷⌖❄⇘←❄◘⌖⇘❖◆ ﴾ [العلق:٦،٧].

ولذلك جاء وصف المترفين عند العلماء مطابقاً لما ورد في مفهوم اللغة، "فالمترفون في كل أمة هم طبقة الكبراء الناعمين، الذين يجدون المال والخدم والراحة، فينعمون بالدعة والراحة والسيادة، حتى تترفهم نفوسهم -أي تطغيهم- وترتع في الفسق والمجون، وتستهتر بالقيم والمقدسات والكرامات، وتنتهك الأعراض، وتعتدي على الحرمات، وهم الذين ينهشون في الأمة،حتى تفقد الأمة عناصر قوتها، وأسباب بقائها فتهلك وتطوى صفحتها" [٣، جـ١٥ ، ص٢٢١٧].

"فإتراف النعمة للإنسان إذن إبطارها وإطغاؤها له، وذلك إشغال لنفسه حتى يغفل عمّا هو مطلوب منه، فيكون الإنسان بذلك مترفا، متعلّقاً بما عنده من نعم الدنيا وما يطلبه منها سواءً أكانت قليلة أم كثيرة.

فالترف يغلّظ القلوب، ويفقدها الحساسية، ويفسد الفطرة، فلا ترى دلائل الهداية، فتستكبر على الهدى، وتصر على الباطل، ولا تتفتح للنور" [٣، جـ٢٢ ، ص٢٩١٠].

ونظراً لما يولّده الترف في نفوس أصحابه من التكبّر على المجتمعات التي يعيشون فيها فلا بدّ لنا أن نلقي الضوء على مفهوم الكبر.

فالكبر لغة بالكسر: "العظمة، وكذلك الكبرياء، وكبر الشيء بسكون الباء: معظمه. قال تعالى: ﴿ ﴾ (النور:١١) [٤، جـ٢ ، ص٨٠١].

والكبر اصطلاحاً: هو توهم الشخص نفسه أنه أمر عظيم فوق ما هو، وهذا هو الاختيال والخيلاء والمخيلة، وهو أن يتخيّل عن نفسه ما لا حقيقة له.

والمتكبر يريد العلوّ في الأرض والفخر على الناس وإرادة الرئاسة والسلطان، حتى يبلغ به الأمر إلى مزاحمة الربوبية كفرعون، ومزاحمة النبوة.

وقد قال تعالى: ﴿ ﴾ [لقمان:١٨]، وقال عليه الصلاة والسلام: "الكبر بطر الحق وغمط الناس" فبطر الحق جحده ودفعه [٥، جـ٢ ، ص٨٩]؛ ٦، حـ٢ ، ص٣٤٦].

وأما مفهوم الرسل لغة فيقال: "أرسلتُ فلاناً في رسالة فهو مرسل ورسول، والجمع رُسْلٌ ورُسُلٌ. والرسول أيضاً الرسالة ومنه قول ابن كثير:

لقد كذب الواشون ما بحتُّ عندهم بسرٍّ ولا أرسلتهم برسول

وقوله تعالى: ﴿ ﴾ [الشعراء:١٦] ولم يقل رسل رب العالمين لأنّ فعولاً وفعيلاً يستوي فيها المذكر والمؤنث والواحد والجمع، مثل عدو وصديق) [٤، جـ٤ ، ص١٧٩].

وأما مفهوم الرسول اصطلاحاً فهو "المكلف من قبل الله تعالى بتبليغ شريعته لخلقه، وهذه النبوّة اصطفاء من الله تعالى، ويدل على ذلك قوله تعـــــــالى: ﴿ ⑤⌧✠☀⬮⊃⌖✈ ⑤✍⌖☜⌖⇨☺ ⑤✍✧◘⌚⇨☞⌖⍄❖◆
⇩③⑤·⌖≺⌖ ➔⌖←❄⬮↑⬯❄♉⑥ ➔⌖⇩③⑤⊘⌖
⑤☀✠⑩❄♊⬤⌖☝⬋✡❄"☐⇨ ➔⌖⇩③⑤⊘⌖ ⬀✡⟑♊⬤⌖☝⊃⌖
⬀⌖⌧✞⍄ ⑤✍⌧🖫⬁⌖❄⸮⌧✞⟑✡&⊃⌖ ﴾ [آل عمـــــران:٣٣ [٧، ص٢٦٧].

المبحث الأول : أثر المترفين على مجتمعاتهم

عرفنا فيما سبق أن المترفين يتمتعون بمنزلة مهمة في المجتمع، فهم الوجهاء والرؤساء، وهم أهل الرأي النافذ نظراً لمركزهم الاجتماعي، وما هم فيه من وضع مالي وسيطرة على من حولهم، فهم يملكون المال والسلطان، وهما من أكبر عوامل خضوع المجتمع لمن يملكهما.

وأثر المترفين في مجتمعاتهم ظاهر جداً، إذ إن الناس يتأثرون بالأحوال أكثر من تأثرهم بالأقوال، فحال الشخص هو الذي يفرض قبول رأيه في المجتمع، وليس ما يقوله، كما قال الشاعر في امرأة شيخه [٨، جـ١، ص٩٢].

إذا قالت حذام فصدقوها فإن القول ما قالت حذام

والمترفون جبّارون ومتسلطون على أقوامهم، والناس منقادون إليهم ومتأثرون بآرائهم إما طوعاً للانخداع بما هم عليه من حال، وإما كرها وخوفاً من بطشهم وتسلّطهم، ولذلك فإن دورهم في المجتمعات خطير جداً، لانقياد عامّة الناس إليهم، وخوفهم الشديد من مخالفتهم.

"لذلك نجد أن القرآن الكريم قدجعل الأخذ عليهم في العذاب كما ورد فـــي قولـــه تعــــالى: ﴿ ♒⌖❷✞⍄⍄❖◆ ⑤☀✠⬤⌖⑤💻 ⑤✞☺·⌖❄○◘←❄⌖⑥
⮚⬮❄❷♊⬤⌖⬂❄✡"⬈✠➢ ⑩✡⑥✍⌧🖫⬁⌖○⌖⑤⑦♑ ﴾ [المؤمنـون:٦٤]، لأنهـم الذين أضلوا عامة قومهم، ولولا نفوذ كلمتهم على قومهم لاتبعت الدهماء الحق، لأن العامة أقرب إلى الإنصاف إذا فهموا الحق، بسبب سلامتهم من معظم دواعي المكابرة من توقع تقلّص سؤدد وزوال نعيم" [٩،جـ١٨ ، ص٨٢].

والمترفون يتسببون في تدمير مجتمعاتهم والقضاء عليها قضاء تاما، بسبب فسقهم ةانتهاهكم لحرمات الله تعالى، فعند ذلك يأمر الله تعالى بتدمير ذلك المجتمع الذي يعيث فيه المترفون فساداً. قال تعالى: ﴿ [illegible] ﴾ [الإسراء:١٦]. "فالله سبحانه وتعالى إذا أراد أن يهلك أهل قرية بعد قيام الحجة عليهم، وإرسال الرسل إليهم، أمر مترفيها، أي رؤساءها وسادتها بالطاعة واتباع الرسل أمراً بعد أمر، فكرّر عليهم، وبيّنة بعد بيّنة تأتيهم بها، إعذاراً للعصاة وإنذاراً لهم، وتوكيداً للحجة عليهم، ففسقوا فيها بالمعاصي، وأبوا إلا تمادياً في العصيان والكفران، فوجب حينئذ عليها الوعيد، فأهلكناها إهلاكاً، وإنما خصّ المترفين وهم المنعمون والرؤساء بالذكر، لأن غيرهم تبع لهم، فيكون الأمر لهم أمراً لأتباعهم، وقد روي عن ابن عباس وسعيد بن جبير أن معناه: أمرناهم بالطاعة فعصوا وفسقوا، ومثله أمرتك فعصيتني، ويشهد لصحة هذا التأويل الآية المتقدمة وهي قوله تعالى: ﴿ [illegible] ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ [illegible] ﴾ " [الإسراء:١٥] [١٠، جـ١٥ ، ص٣٠].

"فإهلاك القرية هنا إهلاك استئصال، لم يبق منها شيء أبداً، فهو تدمير وتخريب بالكامل، وذلك لتمردهم واجتراحهم السيئات، وارتكابهم كبائر الإثم والفواحش" [١١، جـ١٥، ص٢٥]. قال القاشاني: "إن لكل شيء في الدنيا زوالاً، وزواله بحصول استعداد يقتضي ذلك. وكما أن زوال البدن بزوال الاعتدال، وحصول انحراف يبعده عن بقائه وثباته، فكذلك هلاك المدينة وزوالها بحدوث انحراف فيها عن الجادة المستقيمة التي هي صراط الله، وهي الشريعة الحافظة للنظام.

فإذا جاء وقت إهلاك القرية، فلا بد من استحقاقها للهلاك، وذلك بالفسق والخروج عن طاعة الله، فلما تعلّقت إرادته تعالى بإهلاكها، تقدمه أولاً بالضرورة فسق من أصحاب الترف والتنعم، بطراً وأشراً بنعمة الله واستعمالاً لها فيما لا ينبغي، وذلك بأمر من الله وقدر منه، لشقاوة تلزم استعداداتهم، وحينئذ وجب إهلاكهم" [١٢، جـ١٠، ص٢١٥].

"وقيل: إن معنى قوله تعالى: ﴿ ⑤☺✞✌⌖⌖❄⭘⬄←❄⌖⑥ ✌♦❄❷♊⭘⌖➢❄✡”↗⌖⑥ ﴾ [الإسراء:١٦]، أي أكثرنا مترفيها في المجتمع، أي جعلنا أكثر أفراد المجتمع من المترفين الفاسقين، فأصبحوا هم الصبغة المعروفة والمشاهدة في المجتمع الذي يعيشون فيه، فاستحقوا بذلك عذاب الله تعالى بتدميرهم وإهلاكهم جميعا" [١٣، جـ٢ ، ص٢٤٢].

أقول: وهذا المعنى يؤكده جواب النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها، عندما سألته قائلة: أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: "بلى إذا أكثر الخبث" [١٤،جـ١٣ ص١١]. والفتنة عندما تقع بقوم ليست مقتصرة على الظالمين الفاجرين منهم، بل إنها تتعدى ذلك لتشمل كل أفراد المجتمع الذين يعيشون معهم، قال تعالى: ﴿➔⌖⑤⍀❸❄✞⚐⌀♦⬆⑤☠ ❸❄♦⌖♑”⌖⌖⊃⌖✈ ①✞⚐② ⮷✡❷♊❄❄⌖⌖→♉ ⑤⍀⊠✞⚐○✡▦⌖⌖ ◷◷✞⊠✞⮙♦⬆⑤☠ ✌✡⌖⚡☼➢♊ ⌖⑥⌖✧❄❄↗✞❄→☍♉ ➔⌖⑤⍀⇗♊⊠✞⮙♦❄⬆⑤❖☠ ⑤✞☺✕↗✞ ⑤⍀☜⌖⇨☺ ✹⌖•✡▦•♦ ⑤⍀⊠🖫⌖✡⌀⌖⑥⑦♑ ﴾ [الأنفال: ٢٥]. وقيل: معنى قوله تعالى : ﴿ ⑤☺✞✌⌖⌖❄⭘⬄←❄⌖⑥ ✌♦❄❷♊⭘⌖➢❄✡”↗⌖⑥ ﴾ [الإسراء:١٦] "أي جعلنا المترفين أمراء ومسؤولين عن المجتمع الذي هم فيه، فعاثوا في الأرض فساداً فاستحقوا هم ومن معهم الإهلاك والتدمير" [١٥، جـ٥ ، ص١٦٣].

المبحث الثاني: موقف المترفين من دعوة الرسل

لقد وقف المترفون في مختلف العصور من دعوة الرسل الذين أرسلوا إليهم موقفاً واحداً، لم يتغيّر ولم يتبدّل، وإن تغيّر الزمان وتبدّل المكان، وهو الرفض لما جاءت به الرسل، ومناصبتهم العداوة والبغضاء. ومعظم المكذبين من الأمم هم أهل النعم وسعة العيش، قال تعالى: ﴿ [illegible] ﴾ [المزمل:١١].

ومما ورد في القرآن الكريم عن المترفين قوله تعالى: ﴿ [illegible] ﴾ [سبأ:٣٤]. "فالله تعالى يقول مسلياً نبيّه محمداً صلى الله عليه وسلم، وآمراً له بالتأسي بمن قبله من الرسل، ومخبره بأنه ما بعث نبياً في قرية إلا كذبه مترفوها، واتبعه ضعفاؤها، كما حصل مع نوح وصالح عليهما السلام من قبله" [١٦، جـ٣ ، ص٥٤٨].

"وكلما بعث نذير إلى قومه ينذرهم بأس الله من أن ينزل بهم على معصيتهم لله تعالى، قال كبراؤهم ورؤساؤهم في الضلالة كما قال قوم فرعون من المشركين به، إنا بما أرسلتم به من النذارة، وبعثتم به من توحيد الله والبراءة من الآلهة والأنداد كافرون" [١٧، جـ٢٢ ، ص٦٦].

ويذكر الله تعالى كذلك حكاية عن المتكبرين من قوم صالح قوله تعالى: ﴿ [illegible] ﴾ [الأعراف: ٧٥،٧٦]. "قال هؤلاء المتكبرون للمؤمنين به من أهل المسكنة من أتباع صالح وهم دونهم في الشرف

والسؤدد: إنّا أيها القوم بالذي آمنتم به وصدقتم به بنبوّة صالح، وأن الذي جاء به حق من عند الله كافرون، وجاحدون ومنكرون لا نصدقه به ولا نقر" [١٧، جـ٨ ، ص١٣٢] . "وقيل إنّ رئيس قوم صالح جندع بن عمر ومن معه قد آمن ولكن صدّ غيرهم عن الاستجابة ذؤاب ابن عمرو والحباب صاحب أوثانهم استكبارا" [١٦، جـ٢ ، ص٢٢٨] وقوله تعالى: ﴿ ﴾ [الزخرف: ٢٣].

"ومثل هذا المقال المتناهي في الشناعة ـ وهو الاحتجاج بما كان عليه الآباء- قالت الأمم من قبلك لإخوانك يا محمد من الأنبياء، فلم نرسل قبلك في قرية رسولاً إلا قال رؤساؤها وكبراؤها: إنا وجدنا آباءنا على ملة ودين وإنا على منهاجهم سائرون، نفعل مثل ما فعلوا، ونعبد ما كانوا يعبدون. فقومك أيها الرسول ليسوا ببدع في الأمم، فهم قد سلكوا نهج من قبلهم من أهل الشرك في إجاباتهم بما أجابوك به، واحتجاجهم بما احتجوا به لمقامهم على دينهم الباطل" [١١، جـ٢٥ ، ص٨٠].

فالتشبث إذاً بذيل التقليد من المترفين، ليس أمراً خاصاً في أمة من الأمم، بل هو دأب المترفين في كل زمان ومكان، فالترف الذي ورثوه عن الآباء والأجداد، هو الذي يدعوهم إلى التقليد وعدم الإمعان والنظر في الحق وأتباعه.

ولذلك فإننا نجدهم في المجتمعات المعاصرة يقفون في وجه الدعاة والوعاظ، يناصبوهم العداء، ويتصدون لدعوتهم، ويشوّشون عليها للحيلولة بينهم وبين أفراد المجتمع لمنعهم من الاستجابة لهم.

فهم يعرفون أنّ دخول هذه المجتمعات في دين الله، يكشف لهم عن حقائق هؤلاء المترفين، فتزول مكانتهم وما كانوا يتمتعون بسببها من تسلّط عليهم.

المبحث الثالث: دواعي وقوف المترفين من الرسل وأتباعهم هذا الموقف

إذا نظرنا إلى ما عليه المترفون من أحوال، فإننا نستطيع معرفة سبب هذا العداء الشديد الذي نجده بين المترفين ودعوة الرسل، ومن خلال ذلك يمكننا أن نذكر الأسباب التالية:

١- إن ما يتمتع به المترفون من سعة العيش وإغراق لأنفسهم في الملذات، غطى على عقولهم وأحاسيسهم تجاه ما يطلب منهم، فأصبحت عقولهم وجوارحهم لا تستجيب إلا لتلك الأحوال التي هم عليها، فلذلك لا يستطيعون إمعان النظر في أهمية ما جاء به الرسل، وإدراك الخير في هذه الدعوات التي تعود عليهم بالنفع العظيم في الحياة الدنيا والآخرة.

٢ - معرفتهم بأن استجابتهم للرسل ستقيدهم في الإنفاق والتصرف في الأموال ضمن قواعد منضبطة حسب الأصول الشرعية التي يطالبهم بها الدين، وهذا أمر لا يقبلون به أبداً، خاصة وأنهم قد أدمنوا على هذه الأحوال التي هم عليها، فكيف يسلمون بسهولة في تركها، وتحمل فراقها بعد أمد بعيد من التعايش معها؟ وإذا فعل أحدهم فعلا من هذه الأفعال المخالفة للشرع عوقب على ذلك، فكيف يخضع المترف نفسه لهذا النظام الذي يحاسبه على كل صغيرة وكبيرة؟

٣ ـ ما هم عليه من رئاسة وجاه وسلطان، فهم الآمرون الناهون، وإليهم يرجع الأمر كله في شؤون الذين يعيشون معهم، يقتلون ويظلمون ويسلبون، ويفعلون كل شيء يريدون فعله، دون أن يستطيع أحد أن يقول لهم لم أو كيف. فإذا اتبعوا الرسل فإن الأمر سيكون عند ذلك لله ورسوله، والناس في مجتمعهم هم الذين يقررون إن كانوا يصلحون للقيادة وولاية الأمر،وذلك حسب معايير الشرع، الذي جاء به الرسل أم لا، فهم يعلمون تمام العلم بأن القيادة وإطلاق اليد في أمور المجتمع الذي هم عليه سيتحول عنهم، ويصبحون مثلهم مثل غيرهم محاسبين أمام شرع الله الذي لا فرق في تطبيقه بين غني وفقير، وآمر ومأمور ، وقوي وضعيف.

٤ - إحساس المترفين بأن لهم مكانة مرموقة في المجتمع لا يصل إليها إلا من كان مثلهم، فكيف يقبلون لأنفسهم التعايش مع من أدنى منهم منزلة في الجاه والسلطان، والمال والممتلكات خاصة وأن معظم أتباع الرسل في بداية الدعوة هم من هؤلاء الضعفاء والمساكين والفقراء؟

لذلك جعلوا وجود أمثال هؤلاء في صفوف أتباع الرسل حجة على عدم قبولهم لدعوتهم، واستجابتهم لهم، قال تعالى حكاية عنهم: ﴿ [illegible] ﴾ [هود:٢٧].

ولذلك طلبوا من الرسل طرد هؤلاء الضعفاء والمساكين إذا ما أرادوا منهم الإيمان بدعوتهم، مع أنهم ليسوا صادقين في دعواهم، وإنما الهدف ضرب مصداقية الرسل في احترام الناس جميعا، وإظهار التناقض في دعوتهم، قال تعالى حكاية عن نوح مع قومه: ﴿ [illegible] ﴾ [هود:٢٩].

وهذه الدواعي التي تجعل هؤلاء المترفين يرفضون الاستجابة لدعوة الرسل، نجدها كذلك في المجتمع المعاصر، فما لدى معظم هؤلاء المترفين المعاصرين من أموال وممتلكات، وما يتمتعون به من تصرف مطلق في أمور حياتهم وغيرهم ممن يتعايشون معهم، وما هم عليه من رئاسة وشعور بأنهم أفضل من غيرهم، يجعلهم يرفضون هذه الدعوة، لأنها تجعلهم مسؤولين عن كل ما يصدر منهم أمام الشرع، فكيف يقبلون بزوال هذه الأمور التي أشربت في نفوسهم؟

المبحث الرابع: الأساليب التي اتخذها المترفون في مقاومة دعوة الرسل

اتخذ المترفون أساليب متعددة من أجل الحيلولة بين قومهم وأتباعهم للحق والاستجابة للرسل في دعوتهم، ونظرا لما يتمتع به المترفون من مكانة في المجتمع، فهم الوجهاء والأغنياء وأصحاب السلطة في أقوامهم،

فإن النـاس يتـأثرون بـأقوالهم ويصـدقون بهـا، كمـا أخبـر الله تعـالى عن تـأثر المجتمـع بـأقوال المنـافقين فـي قولـه تعـالى: ﴿ ☒✞⬆⇔ ·⌖✪⌖♋♦⬆⑤☠
➬✡"♉✡▢ ✓❄⌖✈⑥ ❍⌖⑤·♦➔✂✡➢⇔ ⑤✠✨♦①✞⚐②
·⌖⑨⌖⑥①♉② ➔⌖①⌖②✞☺➔♊☆⌖❄☝♦⬆⑤☠
·✡☒✞❄☞☒✞♉✡➢⇔ ▦❄⌖⑨♊☝➔♦⬆➔❄⌖✽♦➢♦
⑤✂☒🖫✍✡❷♊❶❄⌖➔⌖ ➔⌖✇✡"♉✡▢♊
✦⌖⩓❄⇨☺❄☝♦⬆➲⌖ ☒✞➚♦➢⇔🔔 ➔⌖⑤✂✍⇨♦⇨☺⇨☺♦
﴿ ⌖➲✡✍✡⩓☒☞❄☺⇨🕒🕗☒✂⑥✡⑩ ⌖❏☒✡"▢♦🖬 ﴾

[التوبة:٤٧].

والضـعفاء وعامـة النـاس فـي أي مجتمـع مولعـون بتقليـد الأقويـاء وأصـحاب السلطة، وتنفيذ مـا يطلبونـه مـنهم تحقيقـا لمصـالحهم مـن جهـة، والسلامة من أذاهم وضررهم من جهة أخرى، فمن هذه الأساليب:

- **اتهام الرسل بالكذب** فيما يقولون أو يخبرون عنه من أخبار، حتى لا تقع هذه الأخبار موقع التأثير في نفوس الناس، وهذا الأسلوب وهو اتهام الرسل بالكذب أمر متوارث بين المترفين في كل زمان ومكان، كأنهم قد تواصوا به فيما بينهم، ليكون موقفهم واحداً في كل عصر، قال تعالى: ﴿ ...

﴾ [ص: ٦،٧].

"وانطلـق الأشـراف مـن هـؤلاء الكفـار مـن قـريش قـائلين: امضـوا فاصبروا على دينكم وعبادة آلهتكم، وأن هذا الذي يدعوكم إليه محمد، يطلب بـه الاسـتعلاء علينـا، وأن نكـون لـه فيـه أتباعـا، ولسنا مجيبيـه إلـى ذلك. ولـم نسمع بهذا الذي يـدعونا إليـه من البـراءة من جميـع الآلهـة إلا من الله تعـالى ذكره، والمقصود بالملة الأخرة النصـارى، أو ما سمعنا بهذا في دين قـريش، وقيل إن الملأ الذين انطلقوا نفر من مشيخة قريش منهم أبو جهل، والعـاص بن وائل، والأسود بن عبد يغوث [١٧، جـ٢٣ ، ص ص١٢٦-١٢٧]، فهم، أي قريش، يتهمون النبي صلى الله عليه وسلم بأنه ابتدع هذا القرآن من عند نفسه، وينسبه إلى الله افتراء ."

وقـد قـال قـوم صـالح كـذلك عن نبيهم بمثـل مـا قـال قـوم محمـد عليـه السـلام، كمـا يـذكر القـرآن الكـريم حكايـة عـنهم، قـال تعـالى: ﴿

﴾ [القمر: ٢٥،٢٦]. "فهم قد رموا صالحاً عليه السلام بالكذب، وقالوا عنه بأنه متجاوز في حد الكذب، والله تعالى يهددهم ويتوعدهم بأنهم سيرون فيما بعد من هو الكذاب المتجاوز في كذبه " [١٦، جـ٤ ، ص٢٨٤].

- **اتهام الرسل بالسحر** فيما أتوا به من آيات بينات على صدق دعوتهم ورسالتهم، وهذا أسلوب آخر من أساليب المترفين لصرف اهتمام الناس بدعوة الرسل، والاعتقاد بأنهم سحرة، مثلهم مثل غيرهم الذين يريدون السيطرة على عقول من يسحرونهم. قال تعالى: ﴿ ﴾ [ص:٤]، "وهؤلاء هم سادة قريش وأساطينها، الذين تعجبوا من أن يكون الرسول منهم يعرفون نسبه وأخلاقه، وقاموا باتهامه بالسحر والكذب، من أجل صرف الناس عن قبول دعوته والتأثر بما يدعو اليه تماما مثل قول السابقين في حق رسلهم" [١٨،جـ٤ ، ص٤٢٠].

ويبين الله تعالى لنبيّه عليه السلام أن هذا الاتهام قد فعلته الأمم السابقة لقريش في رسلهم، الذين أحل الله بهم نقمته كقوم نوح وعاد وثمود وفرعون وقومه، ما أتى هؤلاء من نبيّ من الأنبياء إلا قالوا كما قالت قريش ساحر أو مجنون، ويقول تعالى ذكره: أأوصى أوائلهم وآباؤهم الماضون من قبلهم قريشاً بتكذيب محمد عليه الصلاة والسلام، فقبلوا ذلك منهم، قال تعالى: ﴿ ﴾ [الذاريات:٥٢، ٥٣] [١٧، جـ٢٧ ص٧]. وكذلك قوله تعالى: ﴿ ﴾ [المدثر: ١،٢]، "نزلت هذه الآيات عندما صنع الوليد بن المغيرة طعاماً لسادة قريش، فلما أكلوا منه قال: ما تقولون في هذا الرجل؟ -يعني محمداً عليه الصلاة والسلام- فقال بعضهم ساحر، وقال بعضهم ليس بساحر، وقال بعضهم كاهن، وقال بعضهم ليس بكاهن، وقال

بعضهم شاعر، وقال بعضهم ليس بشاعر، وقال بعضهم بل سحر يؤثر، فأجمع أمرهم على أنه سحر يؤثر، فلما بلغ النبي عليه السلام حزن وقنّع رأسه، وتدثّر فأنزل الله تعالى هذه الآيات" [٦، جـ٤ ص٤٧٠].

(وكذلك يخبر القرآن الكريم عن قوم عيسى الذين اتهموه أيضاً بالسحر، قال تعالى: ﴿ [illegible] ﴾ [الصف:٦]. وها هو فرعون وهامان وقارون يقولون بمقالة من سبقهم كذلك في حق موسى عليه السلام، عندما جاءهم بالبينات الدالة على صدق نبوّته أنه ساحر كذاب، قال تعالى: ﴿ [illegible] ﴾ [غـافر: ٢٣، ٢٤].

فالله سبحانه وتعالى يخبر نبيّنا عليه الصلاة والسلام مسلياً له في تكذيب قومه، ومبشراً له بأن العاقبة والنصرة له في الدنيا والآخرة، كما جرى لموسى بن عمران عليه السلام، فإن الله أرسله بالآيات البيّنات، والدلائل الواضحات والسلطان وهو الحجة والبرهان، إلى فرعون وملئه فكذبوه وجعلوه ساحراً مجنوناً مموّهاً كذاباً في أن الله أرسله" [١١، جـ٤ ، ص٨٣].

- **اتهامهم للرسل بالسفه:** وهو قلة العقل وعدم حسن التصرف في الأمور، وهذا بدوره يصرف الناس عن دعوة الرسل، لمعرفتهم من حال السفيه أنه لا يتابع فيما يقول ولا يعوّل على قوله، قال تعالى حكاية عن قوم هود: ﴿ [illegible] ﴾

[illegible] ﴾ [الأعراف: ٦٦-٦٨].

"يخبر الله تعالى أن السادة والرؤساء من قوم هود الذين كفروا وجحدوا توحيد الله، وأنكروا رسالة هود إليهم قالوا عنه: إنا نراك يا هود في ضلالة عن الحق والصواب بترك ديننا وعبادة آلهتنا، وإنا لنظنك كاذباً في قيلك إني رسول من رب العالمين، فقال لهم هود يا قوم ليس بي ضلالة عن الحق والصواب، ولكني رسول من الله فأنا أبلغكم رسالات ربي وأؤديها إليكم كما أمرني ربي. وأنا لكم في أمري إياكم بعبادة الله دون سواه من الأنداد والآلهة، ودعاؤكم إلى تصديقي فيما جئتكم به من عند الله ناصح فاقبلوا نصيحتي، فأنا أمين على وحي الله، وعلى ما أمّنني الله عليه من الرسالة، لا أكذب فيه ولا أزيد، ولا أبدل بل أبلغ ما أمرت به كما أمرت" [١٧، جـ٨ ، ص ص٢١٥، ٢١٦]. ثم يتبعون تشكيكهم بشخصية هود بأنه ممسوس من بعض آلهتهم، وجعلوا من فعل بعض الآلهة تهديداً للناس بأنه لو تصدى له جميع الآلهة لدكوه دكا، والاعتراء النزول والإصابة، فهو إذن ليس بعاقل تماماً، يعي ويدرك ما يقول. قال تعالى حكاية عن قيلهم: ﴿ [illegible] ﴾ [هود:٥٤].

- اتهام الرسل بالجنون: ولما أرسل الله تعالى نبيّه موسى عليه السلام إلى فرعون اتهمه بالإضافة إلى السحر بأنه مجنون، قال تعالى حكاية عنه: ﴿ [illegible] ﴾ [الذاريات: ٣٨]. (أي أن الله تعالى أرسل موسى بدليل باهر، وحجة قاطعة، فأعرض عما جاء به من الحق المبين استكباراً وعناداً، وغلب على قومه وقال: لا يخلو أمرك فيما جئتني به من أن تكون ساحراً أو مجنونا) [١٦، جـ٤ ص٢٥٣].

كذلك وقف قوم نوح نفس الموقف الذي وقفه فرعون مع موسى، فاتّهم قوم نوح نبيّهم بالجنون من أجل إبعاد الناس عنه، وعدم اطمئنانهم إليه، قال تعالى حكاية عنهم: ﴿ [illegible]

﴿ ﴾ [القمـر:٩]، (فـالله تعـالى يسـلّي نبيّه في هذه الآية مبيّناً له أن هناك من كذب الرسل قبل قومه، وهم قوم نوح الذين صرحوا له بالتكذيب واتهموه بـالجنون، وانتهروه وزجروه وتوعّدوه إذا لـم ينتـه عـن دعوتـه، فسـوف يرجمونـه، قـال تعـالى: ﴿ ﴾" [الشعراء:١١٦] [١٦، جـ٤ ص٢٨٢].

"ولما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلـى قريش أعرضـوا عن دعوته، ولم يوافقوه وقالوا للناس عنه إنـه مجنـون، ومـا يقولـه هـو تعليم من شـخص يملـي عليـه هـذه الأشـياء، قـال تعـالى حكايـة عـنهم: ﴿ ﴾ [الـدخان:١٤]. ويـرد الله تعـالى على قريش دعواهم هذه بأن محمداً عليه الصـــلاة والسلام مجنون بقولـه: ﴿ ﴾ [القلم:٢]. أي لست ولله الحمد بمجنون كما يقولـه الجهلة من قومك والمكذبون بما جئتهم به من الهدى والحق المبين فنسبوك فيه إلى الجنون" [١٦، جـ٤، ص٤٢٩].

وهكذا دأب جميع الأمم الذين سبقوا قريشا، فإنهم قالوا للأنبيـاء الـذين بعثوا فيهم بأنهم سحرة ومجانين، فيقول الله تعالى عنهم: ﴿ ﴾ [الذاريات: ٥٢]. "والـذي جعـل هـؤلاء متشـابهين فـي مواقفهم تجـاه الرسل ـ رغم تباعد الزمـان والمكـان بينهم- أنهم قوم طغـاة، فكانـت قلوبهم متشـابهة، لـذلك قـال متـأخروهم بمـا قـال بـه متقدموهم" [١٦، جـ٤ ، ص٢٥٥].

ـ **اتهام الرسول بأنه شاعر:** وأن ما جاء به هو من تلقاء نفسـه كمـا يقـول الشعراء، ومـا يؤلفونـه وينظمونـه من الشـعر للسيطرة علـى مشـاعر النـاس، والاستحواذ على عقولهم، قال تعالى حكاية عن قريش في موقفهم من القرآن الــذي أنزلــه الله تعــالى علــى نبيــه صــلى الله عليــه وســلم: ﴿ ﴾

"لم يصدق كفار ⑤✡☺⊙♊✦✡⇨ ⑤⋩⇳②✞☺☺➔✦⇢⌧☼⬆➲✦ 》[الأنبياء:٥]. "لم يصدق كفار قريش بحكمة هذا القرآن، ولا أنه من عند الله، ولا أقروا بأنه وحي أوحى الله به إلى محمد عليه الصلاة والسلام، بل قال بعضهم هو أهاويل رؤيا رآها في المنام، وقال بعضهم: هو فرية واختلاق افتراه واختلقه من تلقاء نفسه، وقال بعضهم بل هو شاعر، وهذا الذي جاءكم به شعر، فليجئنا إن كان صادقاً في قوله، إن الله بعثه رسولاً علينا، وإن هذا الذي يتلوه علينا وحي من الله أوحاه إليه بحجة ودلالة على ما يقول ويدعي، كما جاءت به الرسل الأولون من قبله، من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص، وكناقة صالح، وما أشبه ذلك من المعجزات التي لا يقدر عليها إلا الله، ولا يأتي بها إلا الأنبياء والرسل" [١٧، جـ١٧ ، ص٣].

ويرد الله تعالى على كفار قريش هذه الفرية على نبيه عليه السلام من أنه لا يستطيع قول الشعر ولا يتأتى من مثله، وهم يعرفون ذلك، قال تعالى: 》➔✦⋎✦⑥ ⬀✦⌫✞⇜⋀♊✠❍✦❄❄⁋⬉⬧ ⑤⋩⌧✸✡⇜⇖♊⬤✦ ➔✦⋎✦⑥
▦❄✦❍✍⑨❄✦⇖✥✡⋨ ⌧❄✞⬉⬧✋🕮🖅 ⑤⌘✨⬮➲⇔ ⬃⬧⬆✦ ⑤⌘✨⬮①✞⇨②
⬤✡⬋⧄✏ ➔✦⋩❄⬧⬤⇩⇔③⑤⑤➲♍ ⋎⬧⇢⑨✡⇜➲♌ 《 [يـس: ٦٩]. فهـو -أي القرآن الكريم- وحي من الله تعالى واضح الدلالة لهم، نظراً لمعرفتهم باللغة وما فيها من شعر ونثر ورجز.

ويرد الله تعالى على كفار قريش كذلك في آية أخرى: 》➔✦⋎✦⑥
⬃⬧⬆✦ ⑩✡⋪✦⬆♊⋪⌘ ✹✦⑥⬀✡❄⬤⌧🕮 ⋩❄✦⌫✡"④◴ ⋎✦⇢⑥
❸⬧⬉⋎◻✡⬮⬧⬆➲✦ ◑🗁🗐☎ ➔✦①✦② ⑩✡⋪✦⬆♊⋪⌘ ⋪✞⑥⬃✡⬮⬩🕮
[الحاقـــــــة: ٤١،٤٢]. 《 ➲✦➔⬧⬤⇜✞⊛✦○✦❄❸ ⑥⇢✦⋎ ◴④"✡⌫✦❄⋩

والكاهن هو الذي يخمّن وقوع الأشياء على ضرب معيّن، أو يتوقع حصولها في وقت معين، ليوهم الناس أنه يعرف ما يجري من الأحداث في شؤون حياتهم.

- **قمديد الرسل.** وذلك بالقتل أو الضرب أو الطرد من البلاد إذا ما أصروا على الاستمرار في دعوتهم، وملاحقة أتباعهم بالعذاب والقتل والتضييق، حتى يتراجعوا عن متابعتهم والإيمان بدعوتهم. "قال تعالى حكاية عن قوم شعيب: 》⋩❄✦⑥⌧❄⬧⬆⑤☠ ▦❄✦❄⁋✸⬧⇖✦❄"♊⑧⇧
⇜❄✦⇜❄⬦◻⋪✦⬉⬧ ⊛✦❄❄❻✡⇜⊙♉⑤ ⋎✡⇢⋀✦⇢⑥
❸❄✦⋪⬧⬆⋪⬧ ➔✦⑤⌘✨⇜❄✞⇜⑥ ⌧✞❄⬮✦⬤✦▫❄⁋⇜⇨
☆✦⇜✡"⇜❄♉❄⑥⇜ ➔✦⌧✞⬆⇔①✦②
⇩✡"⬮✦⑥ ⌧✞⬤✦♊❄✦⬮❄✦✦⁋⇜⇜⇨ ⊙✦⬋♊◷⇧⇜⇨ ➔✦⋎✦⑥💻

﴿ ﴾ [هـود:٩١].

وهددوه كذلك بالطرد من بلادهم إذا لم يعد هو وأتباعه إلى دينهم الذي هم عليـه، قـال تعـالى حكايـة عـنهم: ﴿ ﴾ [الأعراف:٨٨].

ويحكي لنا القرآن الكريم عن موقف والد إبراهيم عليه السلام من دعوة ابنه لعبادة الله وحده لا شريك له، أنه هدده بالرجم إن أصرّ على ذلك، قـــال تعـــالى: ﴿ ﴾ [مريم:٤٦]. أي فارقني زمناً طويلاً، ولا أريد أن تبقى معي على هذه الحالة.

وكذلك موقف قوم نوح عليه السلام، حينما هددوه بالرجم إن استمر فـي دعوتـه، قـال تعـالى حكايـة عـنهم: ﴿ ﴾ [الشعراء:١١٦].

وكذلك فعلت قريش مثل فعل الأمم السابقة بالنبي صلى الله عليه وسلم، من تهديد وتعذيب لـه ولأصحابه، فها هو عدو الله أبو جهل يتوعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، إن رآه يصلي عند الكعبة المشرفة ليطأن على رقبته، فلما بلغ النبي عليه السلام ذلك هدّده بعذاب الله تعالى فأجاب عدو الله مستهتراً: أما والله إني لأكثر هذا الوادي نادياً، فأنزل الله تعالى في حقـــه: ﴿ ﴾ [العلـــق: ١٧،١٨] [١٦، جـــ٤ ، ص ص٥٥،٥٦].

"ووصل عداؤهم لدعوته عليه الصلاة والسلام قمّته حينما أجمعوا وقرروا أن تقوم بقتله جماعة من الشباب من كل عشيرة، ليتفرق دمه بين القبائل، فتعجز بنو هاشم عن الأخذ بثأره، ولكن الله سلّم رسوله، فتمكن من

الإفلات منهم، والهجرة إلى المدينة المنورة سالماً، قال تعالى: ﴿ ⌖⌂▦✡○⊳✞⌧✍⑤ ⇨⌀✡⑩ ♦●☼⌂♊⟑⌖▦ 🖫○♁✠⑤⌖➔ ♊➔✞☹⑤ ⇨⌂♠♦❷✡⑨♊❄❻♦"✡⌧ ☠⑤➔♦●⌖☞✞⌀ 🕮⇨⌂♠♦♋✠●♊♎♦▦ ♊➔✞☹⑤ ⇨⌂♠♦❄⌫♦❷□❄⌀⌖▦ ✍☺⇨♦✍✍⑤ ♦●☼⌂♊⟑⌖▦⌖➔ ⌖⊃➔♦●☼⌂♊⟑⌖▦⌖➔ ⌖⌂▦✠●✡✿❄♇❄⌖⟑🖫⌧✍⑤ ♦⊙♊&❄⌖· ♦☺⇨☺⇨♦✍✍⑤⌖➔ ﴾ [الأنفال:٣٠]. والإثبات هو الشد بالوثاق، والإرهاق بالقيد والحبس المانع من لقاء الناس، والقتل قد ذكر سابقا، وأما الإخراج فهو النفي من الوطن" [١٩، جـ٩ ، ص٦٥٠].

- **القول عن القرآن الكريم بأنه أساطير**: وهذا أسلوب اتخذه سادة قريش

وكبراؤها، من أجل صرف الناس عن التأثر بالقرآن الكريم، والإقبال على ما ورد فيه من دعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له، "وهو الادعاء بأن هذا القرآن أكاذيب وأباطيل، وخرافات أخذها محمد عليه السلام من الكتب،وأنه يكتب له حسب طلبه أول النهار وآخره، والذي يكتبها، أي هذه الأساطير كاتب، لأنه كان أمياً لا يكتب، وهي تلقى عليه بعد اكتتابها ليحفظها من أفواه من يمليها عليه، لكونه أميا لا يقدر على قراءتها من ذلك المكتوب بنفسه، وهذا التعليم مستمر في جميع الأوقات، قال تعالى حكاية عن قيلهم هذا: ﴿ ➔⌖⌂⌖⑥⌧☼♠⑤☠❖ ⑤☹✞✦⌖❄❄♇🕘✡&⊙♦ ⑤✍⇧②☹✞➔⌖✈⌧✡&✕↗ ⑤✍❀♊❷❄⌖❷❄⌖⑨❄⌖↗⌖⑥ ⮷❄⌖↗♑⌂③ ❸❄♦⟑♊⌫✞⌂◆ ⌖"♊↖✡ ⑩❄♦✿♊●⌖♠♉ ➔⌖⑤☹✞✧✡"④🕘 ﴾ " [الفرقان:٥] [١٨، جـ٤ ص٦١]. وقال تعالى حكاية عنهم أيضاً: ﴿ ➔⌖⑤✠♁✠●✞⑤ ❸❄♦❷❄♊❄⌫✞⌂◆ ⌖⌫✞"♊↗✠⌸♊ ⇩③⑤▦❄⌖❄♇❷♦❶❄⌖⑥ ⌂❄❄⌖•♊ ✦❄❄↗⟑✡⌂❶♊❄⌖⑥ ⇦❄⌖✸⌖⑥💻⇩♦ ⌧✞♠♊ ⌧✞⌀♦⌫🖫❶❄⌖⑥ ⋎✡❻❄❄□⌂⌖ ⇙⌖❄♇○✞⑤💻✉ ⑤✠♁⊃⇔ ⇙⌖❄♇○✞⑤💻 ⑤✠♁①✞⊳②💻 ⑤☹✞✦⌖❄❄♇🕘✡&⊙♦ ⑤✍⇧②☹✞➔⌖✈⌧✡&⊃⌖ ﴾ [الأنفال: ٣١]. "وهذا غاية المكابرة ونهاية العناد. كيف لا؟ ولو استطاعوا شيئاً من ذلك فمن الذي كان يمنعهم من المشيئة؟ وقد تُحِدُّوا غير مرة أن يأتوا بسورة من مثله، وقُرّعُوا على العجز، وذاقوا من ذلك الأمرّين، ثم قرّعوا بالسيف، فلم يعارضوا سواه، مع فرط أنفتهم واستنكافهم أن يقبلوا، خصوصاً في باب البيان الذين هم فرسانه، المالكون لأزمته، وغاية ابتهاجهم به وقوله تعالى: ﴿ ⑤✠♁⊃⇔

﴾ أي ما سطروه وكتبوه في القصص، وهو جمع أسطورة كأحدوثة وأحاديث، وقد روي أن قائل هذا النضر بن الحارث بن كلدة (من بني عبد الدار)، وأنه كان ذهب إلى بلاد فارس، وجاء منها بنسخة حديث رستم واسفنديار (كتاب قصص)، ولما قدم وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، قد بعثه الله وهو يتلو على الناس ما قصه الله من أحاديث القرون. قال: لو شئت لقلت مثل هذا، فزعم أنه مثل ما تلقفه، وكان إذا قام رسول الله صلى الله عليه وسلم من مجلس، جلس فيه فحدّثهم من متلقفاته، ثم يقول: بالله أينا أحسن قصصا أنا أم محمد؟ وقد أمكن الله منه في بدر فأسر وأمر النبي عليه الصلاة والسلام بقتله، والإسناد في الآية للجميع من أن القرآن أساطير، إما لرضا الباقين به، أو لأن قائله كبير متّبع. وقد كان اللعين قاص قريش الذي يعلمهم الباطل، ويقودهم إليه ويخدعهم بهذه الجعجعة" [١٢، جـ٨ ، ص٤٤].

- **خداع المترفين لعامة النـــاس** بما هم عليه من نعيم وجاه وسلطان وكثرة مال، بأن الله تعالى راضٍ عنهم ويحبهم، ولولا ذلك لما أعطاهم هذه الأشياء التي ليست موجودة عند الرسل وأتباعهم، وإذا كان الله تعالى راضياً عنهم في الدنيا ويحبهم، فمعنى ذلك أنهم على صواب في عبادتهم، وأنهم لم يعذّبوا يوم القيامة، فحالهم في الدنيا يدل على المآل المماثل يوم القيامة، قال تعالى حكاية عنهم: ﴿ ﴾ [سبأ:٣٥] [١٨، جـ٤ ص٣٣٠]. ولذلك يرد القرآن الكريم على دعواهم هذه بقوله تعالى: ﴿ ﴾ [سبأ:٣٦].

"فالقرآن الكريم يضع للمترفين ميزان القيم كما هو عند الله، ويبين لهم أن بسط الرزق وقبضه ليس له علاقة بالقيم الثابتة الأصلية، ولا يدل على رضى وغضب من الله، ولا يمنع بذاته عذاباً ولا يدفع إلى عذاب، فقد يغدق الله الرزق على من هو غاضب عليه، كما يغدقه على من هو عليه راض. وقد يضيق الله على أهل الشر كما يضيق على أهل الخير، ولكن

العلل والغايات لا تكون واحدة في هذه الحالات. فقد يغدق الله تعالى الرزق على أهل الشر استدراجاً ليزدادوا بطراً وإفساداً فيتضاعف رصيدهم من الإثم، وقد يحرمهم فيزدادوا شراً وفسوقاً وجريمة، وجزعاً وضيقاً ويأساً من رحمة الله، وينتهوا بهذا إلى مضاعفة رصيدهم في الشر والضلال. وقد يغدق على أهل الخير ليمكنهم من الأعمال الصالحة لتزداد حسناتهم، وقد يحرمهم ليبتلي صبرهم وإيمانهم ليزدادوا ثواباً عند الله بصبرهم" [٣، جـ٢٢ ، ص٢٩١٠].

- **طلب الأمور غير المعهودة من الرسل بقصد التعجيز والاستهتار** وإضاعة الوقت وتفويت الفرصة على الرسل لمتابعة دعوتهم واستماع الناس لهم، مثل طلب قريش من النبي صلى الله عليه وسلم انشقاق القمر، فلما حصل ذلك قالوا: سحرنا محمد، ولم يؤمنوا. قال تعالى: ﴿ ✡❶⌖❄⑩⌖❍⌖❄❑❷❄⦰⍃⑤
☎🗁☽ ♦❍⌖⮙⌖⌀🖫⌧⍃⑤ ✞🏳⌖✸←⍃⑤⌖➔ ♦→⌖⮣⑥☺⇨⅄⌧⍃⑤
☠⑤⬆♦☆✠❍♊⮬♦❄▦ ♈→⌖❄▦⑤③⇩ ☠❑⑤➔⌖❍⌖❄▦ ⊃♦✠⑤⌖➔
➔⌖▦❄⌖⌀♦⬆❄⌧♦⬆⑤☠ ✦✡♋♊❄❍♍ ⋎♦✈⅄❄❑❷❄⌖⮙✡❍♌✈ ﴾]
القمر:١،٢] . ولو كان مقصودهم من طلبهم هذا الإيمان، لكان حصوله كافياً في إيمانهم وتصديقهم برسالته عليه الصلاة والسلام، وكذلك طلبهم منه عليه الصلاة والسلام أن تكون له جنة فيها من الثمار والعيون، وأن يروا الله والملائكة أمامهم، قال تعالى حكاية عنهم: ﴿ ➔⌖⦰❄⑥⌧☼⬆⑤☠ ⌧✞⍝
←☼🏳⇖♊⋎✡☪⇗ ⌧✞⌀⇨ ☙⌖❷✞🏳⇘◆ ❸❄⌖☜❄❑⑩♦❍⌖
▦⌖❶✍⑨♦⬆⮣☯⑥ ⌧✞❶❄⌖⑥ ⋎✡⍝⌖ ⑤⍃⇳②✞☹☹⊙♊⌑✠
☽🗀♑☎ ⑤☹✞♊ ❸⌖❄⮷☼⬆⊃⌖ ⌧✞⌀⇨
♋⌖❶✞🏳⌖❄♌ ⋎✈✡⍝ ←❄✞🏳♐✡"⦰⬩ ➔⌖✡⮣✡❶⌖⑧⌧
❄⌖❷♦☜⌖⑩❄♑☺❍⌖ ⑤⍃⇳②✞☹☹←❄❄❄❑⌖⇗❄⌖⌖❍⌖
·✡⌫✞❄⌖⌫✞⌖⑥ ❸❄⌖☜❄❑⑩✡☙⊙☯⑤ ☽🗀♑☎
⑤☹✞➔♊ ❸❄♦⅄❄❑⌀✡🕐⇨ ⑤⍃⌧⅄⇨☺⮙⌖❄⑥🖳⇩③
⌀✞⮙⌖⑥ ❍⌖⮣⌖⮙♊❶⇨ ⮣⌖⌫✞❄"♊❶❄⌖⑥ ⌀✡⅄⌖☜❄☯⑥
⑤☹✞➔♊ ❸⌖⑥☹🖫❸✡⇘③ ⑩✡⑥⍃🖅⇨☺✡
➔⌖⑤⍃⌧🖫⮙⌖⌫✞❄❄⌖🗏▭💣💣✠💣⌖←✡ ⦰❄⌖✡⑨✡"④🕖 ﴾]

الإسراء: -].

ولعلّ المتمعّن في أحوال معظم المترفين في عصرنا الحاضر، يجد أنهم يستخدمون نفس الأساليب التي استخدمها الأقدمون من أسلافهم في إعاقة الدعوة، والوقوف في وجوه الخير التي يهدف إلى تحقيقها الرسل ومن

جاء بعدهم، فهم يتهمون هؤلاء الدعاة تارة بالكذب، وأخرى بالسفه والجنون، وإذا لم تفلح هذه الأساليب فإنهم يلجأون إلى التهديد وإلحاق الأذى بالدعاة وأهلهم، إذا لم يتراجعوا عن دعوتهم، ويخدعون العامة بما لديهم من أموال وجاه وسلطان، من أن الله تعالى يحبهم ويرضى عنهم، فهو يميزهم بهذه الأمور عن غيرهم.

المبحث الخامس: مآل المترفين في الدنيا والآخرة

إن الله تعالى يملي للمترفين، ويستدرجهم من حيث لا يشعرون حتى يتمادوا في غيهم وفسادهم، ثم يأخذهم سبحانه أخذ عزيز مقتدر، قال تعالى: ﴿ [illegible] ﴾ [مريم:٧٥].

"هذا أمر الله تعالى بإعلامهم أن الله سبحانه يديمهم في طغيانهم ويمهلهم في كفرهم ﴿ [illegible] ﴾ أي من الأسر والقتل في الدنيا، أو الدخول في النار يوم القيامة، فسيعلمون عند ذلك من الذي يكون منزله أسوأ، أو يكون أقل نصرة هم أم المؤمنون، لأنهم في النار والمؤمنون في الجنة، وهذا رد عليهم لما قيل عنهم في الآية السابقة ﴿ [illegible] ﴾ [٢٠، جـ٣ ص٢٠٧].

ويقول تعالى كذلك: ﴿ [illegible] ﴾ [المؤمنون: ٥٤-٥٦]. "الضمير هنا يعود لقريش، والغمرة الجهل والضلال، وأصلها من غمرة الماء، وهذا الموعد إما أن يكون يوم بدر أو يوم موتهم، والآية رد عليهم فيما ظنوا من أن أموالهم وأولادهم خير لهم، وأنها سبب لرضا الله عنهم، ولكنهم لا يشعرون أن ذلك استدراجا لهم، ففيه معنى التهديد" [٢١، جـ٢ ص٥٢].

وفي هذا المعنى أيضاً يقول عليه الصلاة والسلام: "إن الله تعالى ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته" [٢٢، جـ٢ ، ص١٢٩].

والعذاب الذي يوقعه تعالى بالمترفين عذاب استئصال لا بقاء لهم بعده أبدا، قال تعالى: ﴿ [illegible] ﴾ [الإسراء:١٦]. وقد مر معنا آنفا تفسير هذه الآية من أنها تفيد بأن الإهلاك تدمير بالكامل لا بقاء بعده أبدا.

وقد يكون هذا العذاب الذي أعده الله تعالى للمترفين خسفاً بهم وبممتلكاتهم التي كانوا يتكبرون على الناس بها، ويظنون أنها لن تحول عنهم ولا تزول، كما حصل لقارون بعد أن وصل في تكبره وطغيانه إلى أقصى مدى وبعدها قصم الله ظهره، قال تعالى: ﴿ [illegible] ﴾ [القصص:٨١].

وقد يكون العذاب بإرسال الريح الشديدة أو الصيحة، أو الخسف أو الإغراق، كما جرى لفرعون وقومه، ومن جاء بعدهم أو قبلهم من المترفين المتكبرين، وجعل ذلك آية لكل من له عقل يفكر به ويعتبر بما جرى لهم نتيجة استكبارهم وطغيانهم، قال تعالى: ﴿ [illegible] ﴾ [العنكبوت: ٣٩،٤٠].

"ويصور القرآن الكريم حال المترفين عند نزول العذاب بهم فجأة بعد تماديهم بالباطل ومحاولتهم للهروب من العذاب لدى معاينته، فيقول

تعـــالى: ﴿ ... ﴾ [الأنبيـــاء: ١١-١٣].

أي ما أترفتم فيه من العيش والرفاهية والحال الناعمة التي كنتم عليها ﴿ ... ﴾ فهو تهكم بهم، وفيه وجوه:

أحدها: ارجعوا إلى نعمكم ومساكنكم لعلكم تسألون إذاً عما جرى لكم ونزل بأموالكم ومساكنكم، فتجيبوا السائل عن علم ومشاهدة.

وثانيها: ارجعوا كما كنتم في مجالسكم حتى تسألكم عبيدكم ومن ينفذ فيه أمركم ونهيكم، ويقول لكم بم تأمرون وبم ترسمون كعادة المخدومين.

وثالثها: يسألكم الناس في أنديتكم لتعاونوهم في نوازل الخطوب، ويستشيرونكم في المهمات ويستغيثون بآرائكم.

ورابعها: يسألكم الوافدون عليكم والطامعون فيكم إما لأنهم أسخياء ينفقون أموالهم رئاء الناس وطلب الثناء، أو كانوا بخلاء، فقيل لهم ذلك تهكما إلى تهكم وتوبيخاً إلى توبيخ" [٢٣، جـ٢٢ ، ص١٤٦].

وأما مصير المترفين يوم القيامة فهو دخول النار وبئس المصير، ومواجهة العذاب الشديد في ذلك اليوم، قال تعالى: ﴿ ... ﴾ [غافر: ٤٥،٤٦]. "أي أحاط بقوم فرعون ونزل بهم سوء العذاب، وهو عرض أرواحهم من حين موتهم حتى قيام الساعة على النار صباحاً ومساءً، وهو إحراقهم بالنار في البرزخ، ويوم القيامة ينتظرهم العذاب الشديد في جهنم" [٢٤، جـ١٢ ، ص ص١٩٦، ١٩٧].

وقد توعد الله الوليد بن المغيرة لمعاندته واستكباره عن دعوة الحق التي جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم، فقال تعالى: ﴿ ...

☎🗁⌛◑ ✦❖✻⑥☺☼⊙♊✡⊭⊘♦↖♦✌ ✧❖⬂♦⬆·☯⑤ ﴾ [المــدثر: ١٧،١٦] "إن عدو الله كـان معانـداً لآيـات المـنعم وهـي دلائـل توحيـده، أو الآيـات القرآنيـة حيث قال فيها ما قال، والمعاندة تناسب الإزالة، قال مقاتل: ما زال الوليد بن المغيرة بعد نزول هذه الآيـة فـي نقص أموالـه وأولاده حتـى هلك، (سـأرهقه صــعودا) سأغشـيه عقبــة شــاقة المصــعد يـوم القيامــة" [٢٠، جــ١٥ ، ص ١٥٣].

وقد أعد الله كذلك عذاباً شديداً لعدو الله أبي لهب الذي كان عدواً لـدوداً للنبــي صـــلى الله عليـــه وســـلم ودعوتـــه، فيقــول الله تعـــالى عـــن ذلـــك: ﴿ ❸❖✻⑨❖✈❶◘ ▦✻❖•❖⑤💻 ⑤☹✞⑩✻✡⬂ ⌧✞⬀❖⑧☒ ➔❖❸✻❖⑧⇨☺ ﴾ "أي خسرت يداه، والتباب الخسران، لأنـه كـان مـن أشـد النـاس عـداوة للنبـي عليه السلام ﴿ ✦❖"❖⌖♊⌫✞⬂◆ ←✻❖⑥⊙♉⑤ ❍❖⑤⓿⇨ ⌧✞⬀❖⑧☒ ﴾ إنـه أمر محتوم عليه، وهو دخول النار، ولذلك مات كافراً، وكانت امرأته تحمـل الشوك فتلقيه في طريق النبي، وتقوم علـى إيذاء المسلمين، وإلحـاق الضـرر بهم، فهـي ستكون معذبـة يـوم القيامـة، وسيوضـع حبـل مـن ليـف فـي عنقهـا تعذب فيه" [٢٦، ص٨٦٢].

نتائج البحث

يمكن حصر النتائج التي توصلنا إليها من خلال البحث بالنقاط التالية:

١- الترف في العيش مدعاة للمعصية وإماتة للقلب وتعطيله عن التوجه للخير وقبوله.

٢ - تأثير معظم المترفين على أقوامهم عائد لمركزهم الاجتماعي وما يمتلكونه من ثروات وسيطرة عليهم.

٣ - اتفاق معظم المترفين في كل عصر من العصور على موقف واحد تجاه دعوة الرسل، وهو الرفض الدائم والعداء الشديد لهم ولأتباعهم.

٤ - عدم الانخداع بالأخبار التي تروّج عن الدعاة، لأنها من أسلحة المترفين لتشويه دعوتهم، وإبعاد الناس عن الاستجابة لنداء الخير كما فعل أسلافهم بدعوة الرسل عليهم السلام.

٥ - الترف في العيش والنعيم الواسع وحب السيطرة، هو الذي يمنع معظم المترفين من اتباع الرسل لأنهم سيحكمون في كل شيء في حياتهم بشرع الله، وهذا سيجعلهم يفقدون السيطرة على مجتمعاتهم وإطلاق اليد في كل شيء يريدون فعله.

٦ - خطر معظم المترفين على المجتمعات التي يعيشون فيها لأنهم سيكونون سبباً في تدميرها وسخط الله تعالى عليهم.

٧ - المصير الذي ينتظر الذين وقفوا في وجه الدعوة من المترفين يوم القيامة وهو العذاب الشديد في نار جهنم.

المراجع

[١] الزبيدي، محمد مرتضى. *تاج العروس من جواهر القاموس*. ط١. القاهرة: المطبعة الخيرية، ١٣٠٦هـ.

[٢] ابن منظور، محمد بن مكرم الأنصاري. *لسان العرب*. القاهرة: الدار المصرية، طبعة مصورة عن طبعة بولاق مصر .

[٣] قطب، سيد. في *ظلال القرآن*. ط١٠. بيروت: دار الشروق، ١٩٨٢م.

[٤] الجوهري، إسماعيل بن حماد. *الصحاح*. تحقيق أحمد عبد الغفور عطار. ط٢. بيروت: د.ن، ١٤٠٢هـ.

[٥] النووي، يحيى بن أشرف. *صحيح مسلم بشرح النووي*. ط٢. القاهرة: المطبعة المصرية، ١٣٩٢هـ.

[٦] ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. *دقائق التفسير*. تحقيق محمد السيد. ط٢. دمشق: مؤسسة علوم القرآن، ١٤٠٤هـ.

[٧] الميداني، عبد الرحمن. *العقيدة الإسلامية وأسسها*. ط٦. دمشق: دار القلم، ١٤١٢هـ.

[٨] عبد الحميد، محمد محيي الدين. *شرح ابن عقيل*. ط١٠. القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، ١٣٧٨هـ.

[٩] ابن عاشور، محمد الطاهر. *تفسير التحرير والتنوير*. تونس: الدار التونسية للنشر.

[١٠] الطبرسي، الفضل بن الحسن. *مجمع البيان في تفسير القرآن*. بيروت: دار مكتبة الحياة، ١٩٨٠م.

[١١] المراغي، أحمد مصطفى. *تفسير المراغي*. ط٣. بيروت: دار الفكر، ١٩٧٤م.

[١٢] القاسمي، محمد جمال الدين، *محاسن التأويل*. تعليق محمد عبد الباقي. ط٢. بيروت: دار الفكر، ١٩٧٨م.

[١٣] الزمخشري، محمد بن عمر. *الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل*. بيروت: الدار العالمية، د. ت.

[١٤] العسقلاني، أحمد بن حجر. *فتح الباري بشرح صحيح البخاري*. بيروت: دار المعرفة، ١٣٩٠هـ.

[١٥] أبو السعود، محمد بن محمد العمادي. *إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم*. ط٢. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٠م.

[١٦] ابن كثير، إسماعيل. *تفسير القرآن العظيم*. ط١. بيروت: دار المعرفة، ١٩٨٦م.

[١٧] الطبري، محمد بن جرير. *جامع البيان عن تأويل آي القرآن*. بيروت: دار الجيل، ١٩٨٧م.

[١٨] الشوكاني، محمد بن علي. *فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير*. بيروت: دار الفكر، ١٩٨٣م.

[١٩] رضا، محمد رشيد. *تفسير القرآن الحكيم. الشهير بتفسير المنار*، بيروت: دار المعرفة، ١٩٩٣م.

[٢٠] البغوي، الحسين بن مسعود. *تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل*. تحقيق خالد عبد الرحمن العك ومروان سوار. ط٢. بيروت: دار المعرفة، ١٩٨٧م.

[٢١] الكلبي، محمد بن أحمد بن حجر. *التسهيل لعلوم التنزيل*. بيروت: دار الفكر، د.ت.
[٢٢] السيوطي، عبد الرحمن. *الجامع الصغير*. ط٣. بيروت: المكتب الإسلامي، ١٩٨١م.
[٢٣] الرازي، محمد. *تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب*. ط٣. بيروت: دار الفكر، ١٩٨٥م.
[٢٤] القنوجي، صديق بن حسن. *فتح البيان في مقاصد القرآن*. تقديم عبدالله الأنصاري. بيروت: المكتبة العصرية، ١٩٩٢م.
[٢٥] الألوسي، محمود. *روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني*. بيروت: دار الفكر، ١٩٨٧.
[٢٦] ابن جزي، محمد بن أحمد. *تفسير ابن جزي*. بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٨٣م.

The Affluent People's attitude towards the Messenger's Call

Hussein Jaber Mousa Bani Khaled

Associate Professor College of Sha'ah and Islamic Studies

حسين جابر بني خالد

Al Yarmouk University, Irbid Jordan

Abstract . This research aims at illustrating the concept of affluent people both lignuistically and according to the scholars’ definition. The research also explores the effects of this group on the members of society and sheds light on the methods affluent people use in standing obstinately in the face of the Prophets who were sent to them. Finally, the resarch explores the reasons behind their negative attitude and the outcome of their destiny both in this world and in the Hereafter.